

شفافية المعلومات .. جسر بين الشعوب والحكومات

مقال محمد محمود يوسف نشر بالشبكة العربية العالمية 2006م

بالرغم من أننا نعيش في عصر العولمة، الذي أصبح فيه العالم قرية صغيرة، وبالرغم من بحار المعلومات التي تتدفق علينا من كل حذب وصوب، إلا أننا نجد العالم العربي لا يزال يعيش حالة من الانغلاق المعلوماتي،

قديماً قال العلماء: إن أولى الخطوات المنهجية لحل مشكلة ما هي تحديدها، فإذا كان السبب في قصور البيانات والمعلومات في العالم العربي وعدم تحقق الشفافية المعلوماتية، هو أن البيانات سلبية وتعكس واقعاً سيئاً، ومن ثم تخشى الحكومات نشرها؛ حتى لا تُخرج أمام الرأي العام والخاص، وتُعرض نفسها للقليل والقال. فيجب أن نعلم أن أولى الحلول لنخرج من واقعنا العربي السيئ هو تحديد المشكلة والمواجهة، وأولى صور المواجهة الحقيقية هي إعلان الحقائق والبيانات ونشرها وإمكانية الجميع أن يحصلوا عليها.

أولى الحلول هي الشفافية المعلوماتية؛ ليتمكن الخبراء والباحثون والمسؤولون والمتخصصون من مختلف المجالات من تحليل المشكلة وإبداء آرائهم، وأن يُدلووا بدلوهم في حل المشكلة. حالة الانغلاق المعلوماتي التي تعيشها معظم الدول العربية - إن لم يكن كلها - تعكس أننا مازلنا نخشى المواجهة مع الذات، وما زلنا لم نصل بعد إلى مرحلة تحديد المشكلة كماً وكيفاً. فلازل العالم العربي بحكوماته يحتضن البيانات الحقيقية في ملفات سرية ويعدّها من قبيل الأسرار، ويخاف عليها خوف الأم على وليدها الصغير.

ما زال العالم العربي يعيش مرحلة الاختباء، ولكن شمس العولمة تضحى، وتؤكد أنه متخلف عن الركب، ولا يساهم في الإثراء المعلوماتي الصحيح. كثيراً ما يتعرض الباحثون لأزمة بيانات، ويحاولون الحصول على الحقائق فلا يجدون عوناً ولا سنداً، ويتيهون في صحراء المعلومات، فقفق أبحاثهم تشتكي وتئن من نقص البيانات والمعلومات، فيتعجبوا من أنهم في زمن العولمة ولا يجدون بيانات رسمية في شتى المجالات، مما يثير أمامهم علامات الاستفهام والتعجب.

العالم العربي يحتاج إلى الشفافية المعلوماتية كحاجته إلى الطعام، فلا يجب على الحكومات العربية أن تبذل قصارى جهدها لمحاربة فقر الغذاء فقط، بل يجب عليها أيضاً أن تحارب فقر البيانات وتبني خططاً وأجهزة رسمية خاصة بإصدار البيانات ونشرها، والسماح للجميع بالحصول عليها، وبخاصة من الباحثين الذين قد يفتر حماسهم وتضعف همهم أمام نقص البيانات والفقر المعلوماتي.

يختلف الخبراء والمحللون في وصفهم للعولمة؛ فمنهم من يبدي إعجابه بها، ويعيش في سمانها الرحب، ويرى أن هناك مزايا عديدة لتلك القرية العالمية الصغيرة التي تحوي جميع المدن والدول بحدودها وشعوبها وثقافتها؛ فتلتقي الثقافات، وتتعانق الحضارات، ويكون هناك إثراء معلوماتي.

وتمثل الشبكة العنكبوتية - الإنترنت - مثلاً حياً للعولمة، فالعالم كله بين يديك بثقافته وحضاراته وآرائه ومقالاته، وأيضاً بياناته. فقد نجحت العولمة بدرجة كبيرة في إلغاء الحدود المعلوماتية، ولكن يظل عالماً العربي يغلغ على ذاته، ولا يطرح بياناته الرسمية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية على الملأ، وتظل حبيسة الأدراج تبغي الحرية وهدم الأسوار. الشفافية المعلوماتية طريق العالم العربي للمواجهة؛ مواجهة الحكومات لشعوبها بالبيانات الحقيقية كمعدلات الفقر والبطالة، المواجهة مع الذات تقتضي كشف الحقائق ونشر البيانات، فلا نتخفي وراء بيانات رسمية زائفة، بل نواجه الحقيقة بكشف الحقيقة، وبذل ما يمكن بذله من أجل تغيير الواقع المؤلم اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً؛ فأول الغيث قطرة، وأولى خطوات الإصلاح والمواجهة هي كشف الحقيقة ونشر البيانات الحقيقية للقاصي والداني.

لا تقتصر ثروة الأمم على رصيدها من الثروات الاقتصادية كالموارد والإنتاج والعمالة والدخول واحتياطياتها الأجنبية، ولا على ثرواتها التاريخية من أحداث سياسية وإصلاحات سياسية فقط، بل أيضاً هناك ثروة معلوماتية أو فنقل هناك ثورة معلوماتية.

فالعالم يشهد الآن ثورة معلوماتية لم نشهدها سابقاً، ولكن يخشى العالم العربي أن يسهم في تلك الثورة المعلوماتية، وأن يسهم في بناء قاعدة معلوماتية وصرح معلوماتي يليق به.

على العالم العربي - والحكومات العربية على وجه الخصوص - أن يُدرك أن العالم بأكمله يعيش عصر الشفافية المعلوماتية وانسيابية البيانات في جميع المجالات فلا يتخلف العالم العربي عن الركب، بل عليه أن ينافس بقوة، وأن يشارك في تدفق المعلومات والبيانات، فلا يكون العالم العربي متلقياً أو مستقبلاً فقط، بل أيضاً صانعاً لصرح معلوماتي يسهم به في الثورة والثروة المعلوماتية.

وهذه الثروة المعلوماتية والشفافية ستفيد أولاً الباحثين في العالم العربي والمحللين، فسيجدون زائداً من البيانات، مما يمكنهم من حل العديد من المشكلات التي تؤرق مجتمعهم ويضعون دراسات وخططاً للغد، مما يصنع مستقبلاً أفضل للشعوب العربية. والشفافية المعلوماتية هي الجسر الذي يصل بين الحكومات وشعوبها، وهي حلقة الوصل بين ماضٍ يئن من قصور البيانات، ومن أزمنة مختلفة، وبين حاضر ومستقبل يترقب صحة معلوماتية وأداء أفضل على المستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

الشبكة العربية العالمية